تقديم

بقلم : الأديب الأستاذ أحمد العناني

بسم الله الرحمن الرحيم

ها أنا ، في عتمة الليل وبين يدي الفجر . . في أشرف ساعات المسلم ، أطالع كتاب (**الطبّ مصابيح الإيمان**) للأخ الأديب والطبيب (الدكتور عبد السلام المحسيري) .

وما كدْتُ أمضي في قراءة هذا الكتاب حتى تألّقتْ في خاطري عجائب الخَلْق الإلهي ، التي صوّرها القرآن العظيم ، بعبارات وجيزة ، كأنها السرحات الضخمة المغدقة بفنون الأثمار السائغة الجَنيَّة . . معارض من حقائق ، لم يعرفها العلم إلا بعد تطور أدواته ونجاح مساعيه ، بجهود ألوف العيون التي تقرّحتْ تحت أضواء المصابيح ، في ليالي

الجهد والسهد ، لكي تجيء نتائجها وكأنما هي حواشٍ على متون القرآن ، ومجرد تفاسير لمّا تُسْتَكْمَل بعد ، لكلمات الرحمن الذي أنزل القرآن دافعاً للعلم والتجريب واستخدام العقول في كشف سنن الله والقوانين التي أودعها في طبيعة خلقه ، مما لا تنتهي عجائبها ، أبد الآبدين ولا دهر الداهرين!

* * *

لم يذهب (الدكتور عبد السلام المحسيري) بعيداً ، في رحلته ، ولكنه حصر بحوثه ودوّن خلاصات تجاربه ، في هذا الإنسان ، وكيفية خلقه من بين الصلب والترائب ، واستقراره في ظلمات الأرحام ، وما يعرض له في رحلة الحمل ، حتى يولد خلقاً سويّاً ورمزاً لقدرة الله مذهلاً صاعقاً سرمدياً!

إنها رحلة مع عناية الله بالنطفة ، من حين خروجها من مستقرها ، إلى أن تتحول في مراحلها المذهلة إلى علقة فمضغة تستقر في الأرحام إلى أجل مسمى ، يُنْشِزُ الله تعالى لها خلالها عظاماً يكسوها لحماً ، ثم يودع فيها أسرار

خلق مغيب ، فتبارك الله أحسن الخالقين!

وتمضي الرحلة ، وكأنها مجموعة أناشيد ، يصف المؤلف عجائب المكتشفات العلمية في جهاز الحمل والولادة ، جزءاً جزءاً ، ثم ينتهي إلى وصف المعجزة ، ويتساءل في لازمة النشيد :

ـ أهذا يمكن أن يكون صدفة؟! أي صدفة؟!

ثم يسعفك بالآية القرآنية ، التي كان الكلام كله تمهيداً ، بين يديها ، لجلاء معناها ﴿**لَوْ أَنْزَلنا هذا القُرآنَ على جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّه وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون**﴾ [الحشر : ٢١] .

* * *

وأودّ أن أنوّه بالجهد الموفق ، فيما عرض المؤلف في هذا الكتاب ، من صور فوتوغرافية ملونة دقيقة لمراحل الخَلْق وتطور أمر المخلوق البشري ، من بداية القصة المذهلة ، إلى سداد الخَلْق ونضوج المعجزة بالميلاد!

تهزّ القارىءَ هذه الصورُ ، هزّاً عجيباً ، لأنها تطلعه

على قصة وجوده ، إطلاع الحسّ والبرهان!

ويُدهش القارىءَ أن يعود إلى بدايته المتواضعة ، حيث لا يكاد يكون شيئاً ، فإذا من اللاشيئية يخرج سمعٌ وبصرٌ وحسٌّ وفكرٌ ، وأهمّ من ذلك صورٌ معنوية مخبوءة في طيّات الغيب!

أين العقل؟ أين العواطف والمشاعر والمدارك؟ أين الذاكرة المذهلة ، والخيال الطواف ، والحماسة الجارفة ، والركود المسترسل في النسيان؟!

كل شيء تقرؤه ، في هذا الكتاب ، يُلقي بك في بانوراما من الأفكار والعجب ، من قدرة الله الواحد القهار!

كل شيء يؤكد لك عبث اللاهين عن ربهم ، الغافلين عن أولهم وآخرهم!

* * *

ويُدهش القارىءَ أيضاً ما يقدمه (الدكتور عبد السلام المحسيري) ، في كتابه هذا ، من عجائب قدرة الله تعالى ، في خلايا الإنسان ، وفي أعضائه ، ووظائفها ، وما أنشأت

فيه قدرة الله تعالى من أجهزة تحفظه من السوء ، وتضمن له نفاذ الأجل الذي قرره له الحق جلّ جلاله!

ولقد بدأ العلماء ، منذ نهضة علم التشريح والأجنّة ودراسات الدورة الدموية وغيرها مما عني به أطباء الإسلام العظام من طراز (ابن سينا) ، يعرفون كم هي عظيمة مؤثرة صاعقة هذه القدرة العظمى الخفية التي هي لله تعالى ، خالق كل شيء!

* * *

ولقد شغل الغيارى على نور الإسلام وحقيقة القرآن وصِدْق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة الحق التي حملها في ملاحظة الإشارات القرآنية العلمية ، وكيف تعززها المعطيات النهائية الثابتة المؤكدة من حقائق الخَلْق في الإنسان والطبيعة المذهلة التي من حوله!

لقد كان المحور الذي تدور حوله حجة الدكتور المحسيري هو إظهار مدى البطلان الذي ما فتىء اليهود ، ولا سيما المستشرقون منهم في العصر الأخير هم ومن شايعهم من الحاقدين المغرضين ، يرددونه عن أعظم إنسان في

الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وعن كتاب الله الحق ، الذي تقطعت أنفاس اليهود والمفترين دون أن يصلوا إليه بأدنى تشويه أو تحريف ، فكان حجة الله الخالدة المحفوظة من كل يد آثمة ومزعم شرير ، والذي بدأ العلم المعاصر يثبت عجائب نصوصه ونصاعة الحق الأمثل في عباراته!

وفي كل مناسبة ، نرى الدكتور المحسيري يعود إلى الكشف عن استحالة أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء بشيء من عنده ، من هذا الكتاب الإلهي الأمثل ، الذي تعززه اكتشافات لم يعرفها العلم إلا بعد محمد صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربعة عشر قرناً ، وهذا يدحض أقوال المفترين على محمد الأمين!

* * *

لقد كنت أقرأ صفحات هذا الكتاب ، برغبة لا تطيق التوقف عن القراءة!

فهو حقاً كتاب مشرق ممتع .

وهو ثمرة تجارب وأفكار ومطالعات طبيب مؤمن .

وإنني أدعو كل من ينشد سعادة الأمن بالإيمان أن يقرأ هذا الكتاب ، الذي به إشراقة من التنزيل وأقباس من ضياء الذكر الحكيم .

شكر الله للأخ الدكتور المحسيري هذا الجهد ، وجزاه أعظم الأجر .

عمان في ٨ رجب ١٤١٣هـ

١ / ١ / ١٩٩٣م